

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٦/٢٦

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد سجل سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أيضا أحداثا عدة لمواساته للفقراء والجود والسخاء في حياته عملا بأوامر الله ﷻ وتأسيا بأسوة النبي ﷺ، وهي ليست بعد دعواه فقط بل نعثر على أحداث تخلقه بأخلاق سامية في أوائل حياته وفي سن الشباب أيضا، وكذلك الأم التي هيأها الله لحضنته نجد في حياتها أيضا أحداثا لمساعدة الفقراء والجود والسخاء، فكأنه تربى في حضن أمٍ علمته الأخلاق الفاضلة، وبذلك إذا كان الله بنفسه فطره على الصلاح والبر، ففي الوقت نفسه تيسرت له من قبل والدته بيئة حسنة صالحة. فقد ذكر حضرة شيخ يعقوب علي عرفاني كرم والدته هذا فكتب:

حضرة السيدة شراغ بي بي أي والدته حضرتته عليها السلام تنتمي إلى عائلة المغول الأصلية الكريمة في قرية أيمة في محافظة هوشيار بور، فكانت سخية وكريمة ومضيافة، وكانت تتصف بصفات ينبغي أن تتوفر في سيدة عفيفة وطاهرة، كانت دوما بشوشة ونشيطة وكانت متحمسة لاستقبال الضيوف برحابة الصدر، فالذين لاحظوا كرمها وسخاءها وإكرامها للضيوف بعضهم ما زالوا على قيد الحياة حتى الآن، (أي حين كتب هذا حضرة يعقوب علي عرفاني) فكانت إذا طلب منها إعداد الطعام لأربعة أشخاص من الضيوف، كانت ترسل أكثر مما يكفي ثمانية أشخاص لكي يتوفر الطعام إذا التحق بهم غيرهم، فيأكلوا معهم، فكانت تفرح كثيرا بمجيء الضيوف.

ثم كتب أنها كانت تعني بالفقراء والضعاف في مدينتها، ومن خصالها المتميزة أنها كانت تهيب الكفن للموتى الفقراء، (أي إذا مات فقير دبرت له الكفن والدفن). باختصار كانت تعد أما رؤوما للجميع لاعتنائها بالفقراء. إن أخلاقها وخصالها هذه كان لها تأثير ملحوظ في تربية سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، ولما كان عليه السلام سيملك عائلة عظيمة، فقد دبر الله له منذ طفولته التربية في حضن هذه الأم الحنون التي لم يكن لها مثيل في مواساة العامة وإكرام الضيف والجود والسخاء، لكي يخلق ﷻ فيه هذه الصفات السامية.

وبذلك كأن حضرته رضع هذه الخصال من أمه مع لبنها. فإذا كان عليه السلام قد ورث خصال الغنى والشجاعة والجرأة والقول السديد من أبيه الكريم فقد نال إكرام الضيف والجود والسخاء ومواساة الناس من والدته الكريمة.

لقد سرد حضرة ميان الله يار أحداث سخاء سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وكرمه في الشباب، فقال: يوم كان حضرته عليه السلام موظفا في سيالكوت أرسلت له والدته مرة ثوبين أي طقمين من الملابس، والحلويات بيد منغل الحلاق. يقول الراوي إن منغل كان قد عرج على قريتنا عائدا من سيالكوت، فأخبرنا قائلا: حين أخذت هذه الأشياء إلى سيالكوت ووضعتها أمام حضرته، قال لي: خذ نصيبك منها وأعطني نصيبي. فقلت يا سيدي إنها لكم كلها، قد أرسلتها لكم والدتكم. فقال قد حملتها من بعيد، فلا بد أن تنال النصف منها على أقل تقدير. باختصار قد أعطاني طقما من اللباس وبعض الحلويات، وقال لي قل لوالدي الكريمة أن تعيدني من هنا قريبا، فلا يطيب لي العيش هنا، إذ يعيش الناس في أعمال غير شرعية، وحين أراهم أتضايق كثيرا.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد رحمته الله نقلا عن حضرة سيد زين العابدين ولي الله شاه، الذي قال له: حين كنت مقيما في سيالكوت، قابلتني السيدة حيات بي بي بنت فضل دين وهي والدة القارئ حضرة الحافظ محمد شفيع، فأخبرتني أن حضرة المرزا كان يسكن أول الأمر في الطابق العلوي لبيت مجاور لبيتنا في حارة جهنده والا، وحين انهار ذلك البيت انتقل حضرته إلى بيت والدي في حارة كشميري. فحين انتقل حضرته إلى بيتنا لاحظت أنه لا يقابل أحدا في البيت، وأن الراتب الذي كان يأخذه يوزعه على الأرامل والمحتاجين في الحارة، فيما يخيظ لهم الملابس أو يسلم لهم نقدا، ويحتفظ منه بما يكفي لشراء طعامه فقط.

يقول حضرة يعقوب علي عرفاني: حين نظر إلى حياة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ونأمل في أحداث كرمه وسخائه التي ظهرت أمامنا، يتبين لنا أنه كان قد أوتي حظا عظيما من هذا الخلق ويلاحظ هذا السلوك في حياته منذ وعى، أي من الطفولة المبكرة والشباب، ولم تكن تصدر منه هذه الأخلاق بتكلف بعد بعثته، كلا، بل كانت جزءا لا يتجزأ من طبعه. فالأخلاق من هذا القبيل أحيانا تبقى خفية تماما، وأحيانا أخرى كانت تظهر بالطبع حتى يطالع عليه غيره. عموما كان ميالا إلى أن تبقى حسناته خفية، فقد بقيت أحداث كرمه وسخائه في حياته الأولى خافية عموما، لأنه كان منعزلا، وكان يتعامل مع الناس بحسب ذلك سرا. وحين أخرجه الله إلى العامة وبعثه وبدأ الناس يتوافدون إليه بكثرة، واطلعوا على أوضاعه، ظهر من اطلعوا على هذه الأحداث وقصوها.

كان حضرته لا يرد السائل قط، فكانت حياته صورة عملية لقوله عليه السلام ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: ١١) يقول حضرة مولانا عبد الكريم أن حضرته عليه السلام ذات يوم نهض بعد صلاة العصر كالعادة، ووضع قدمه في النافذة للانتقال إلى البيت، إذ تناهى إلى أذنه صوت خفيف، أنا سائل. وكان عند حضرته عمل

مهم من ناحية ومن ناحية اختلط الصوت مع أصوات أخرى، فنهض بعد الصلاة كعادته ولم يكن يتكلم مع الناس عادة. باختصار ولج حضرته بغير التفات، إذ كان عمل مهم يشغل باله ولم يلتفت إلى ذلك الصوت الخفيف، لكنه حين نزل إلى أسفل أثار في قلبه جليا ذلك الصوت الخفيف، إذ شعر أن صوتا تنهى إلى سمعه، أنا سائل، فتأثر بذلك قلبه كثيرا، فعاد بسرعة ونادى خليفة نور الدين وقال له: كان هنا سائل! انظر أين ذهب؟

وكان السائل قد ذهب بعد عودته عليه السلام إلى بيته. وبحث عنه خليفة نور الدين فلم يجد له أثرا. (علما أن خليفة نور الدين هذا كان من سكان كشمير). فلما جلس عليه السلام بعد صلاة المغرب كعادته عاد السائل ثانية وطلب منه شيئا. فلم يلبث أن أخرج بعض النقود من جيبه، ووضعها في يده، وكان مسرورا جدا وكأن ثقلا كبيرا قد زال عنه. وبعد أيام ذكر عليه السلام لأصحابه هذا وقال: لعدم العثور على السائل في ذلك اليوم كان على قلبي ثقلٌ أصابني بقلق شديد، وكنت خائفاً بأني قد ارتكبت معصية إذ دخلت إلى البيت في عجلة دون أن أعني بالسائل، وأشكر الله تعالى أنه رجع عند المساء وإلا فالله أعلم كم كنت سأعاني من القلق والاضطراب، وكنت دعوت الله أيضا أن يعيده إلي.

كما ذكر حضرة شيخ يعقوب علي عرفاني في سيرته للمسيح الموعود عليه السلام: هناك قرية صغيرة تدعى "ستهيالي" على بُعد ستة أميال من قاديان، وكان أحد الشحاذين يأتي من هناك إلى قاديان (ولا يزال هناك كثيرون ممن رأوه) وكان يقف تحت سقف المسجد المبارك قرب النافذة الكائنة في الجدار الغربي لبيت الفكر ويرفع النداء قائلا: يا غلام أحمد أريد رويية، ثم كان يجلس هناك. وإذا كان المسيح الموعود عليه السلام مشغولا ببعض أعماله ولم يسمع نداءه في بعض الأحيان، فكان هذا السائل يرفع نداءه ثانية بين الفينة والفينة، وكان تصرّفه هذا يشقّ على معظم الناس إذ كان يشكل الإزعاج على حد زعمهم للمسيح الموعود عليه السلام جالسا هناك. وكان إذا منعه أحد من ذلك كان يردّ عليه: إني لم آت إليك، وإنما أسأل غلام أحمد. وإذا علم عليه السلام بأن أحداً منعه من رفع نداءه فكان يستنكر ذلك، ويعطي السائل الروبية مبتسما. كان من عاداته الشريفة ألا يدع السائل ينتظر طويلا.

وروى حضرة تشودري عبد الله خان أن المسيح الموعود عليه السلام عاد من النزهة ذات يوم وعندما كان على وشك الدخول في بيته ناداه فقير يلبس خرقة قصيرة (علما أن بعض الدراويش كانوا يلبسون لباسا قصيرا جدا وكأنهم يقولون بلسان حالهم أن ليس عندهم شيء من متع الدنيا وكانوا يعدّون ذلك مجاهدة منهم. على كل حال إنه ناداه قائلا) أيها المعطي، أيها المعطي، أعطني. فردّ عليه: "إن الله هو المعطي"، ثم دخل بيته. فقال السائل: إن الله هو المعطي، فأعطني أنت أيضا شيئا. فبعث عليه السلام له بشيء.

والواقع أن ذلك السائل ما كان ليتعلم من ذلك درسا، إنما لقن عليه السلام أصحابه درسا بذلك ألا تكون تصرفاتنا مشوبة بأدنى شائبة من الشرك.

وكتب حضرة شيخ يعقوب علي عرفاني: ذات مرة جاء متسول إلى قاديان، وكان يقوم في الصباح ويتجول في شوارع قاديان كلها، مردداً البيت التالي من قصيدة لحضرة مير حامد شاه المرحوم: كان الله ناصرِك يا حبيبي القادياني، لقد هيأت لنا الأمانَ يا أمير دار الأمان.

كما كان أحياناً يقرأ قصيدة للمسيح الموعود عليه السلام مطلعها: لقد سرّحنا فكرنا في كل جانب فلم نجد ديناً أفضلَ من دين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله.

وكان هذا يشقّ على حضرة مخدوم الملة مولانا عبد الكريم رضي الله عنه حيث كان يقول من فرط حبه للمسيح الموعود عليه السلام: هذا الشخص ليس أهلاً لقراءة هذه القصيدة، لأنها حقيقة عميقة وأمر واقع لا يليق أن يقولها إلا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، ويستحيل وجود الحقيقة المذكورة في هذه القصيدة في إنسان عادي مثل هذا السائل، وإني لا أستطيع سماعها من لسان شخص آخر غيراً وحميةً للمسيح الموعود عليه السلام، دغّ عنك أن يرددها متسول كهذا. فكان المولوي عبد الكريم رضي الله عنه يغضب جداً عندما كان هذا المتسول البسيط يردد هذه القصائد. على كل حال، هذا الأمر يبين لنا مدى ما كان يكتنه مخدوم الملة حضرة المولوي عبد الكريم من حب وعشق تجاه المسيح الموعود عليه السلام. على كل حال، قام هذا المتسول بجولة في قاديان، وكان هذا في شهر رمضان، فأعطاه المسيح الموعود عليه السلام في أيام مكوثه كثيراً ومراراً، ولكنه كان يقول دائماً: املاً لي قصعتي. ولما كان يوم العيد جاء هذا السائل بقصعة كبيرة وفرش قطعة قماش قرب باب المسجد وجلس عليها. فلما خرج المسيح الموعود عليه السلام قال له: املاً لي قصعتي. فوضع فيها روبية واحدة، فلم تلبث الروبيات أن ألقيت في قصعته كالمطر، وبقطعات معدنية مختلفة. أي عندما سمع المسيح الموعود عليه السلام سؤاله تبسم وألقى روية في قصعته، فبدأ أتباعه أيضاً يعينونه بما تيسر لهم من قطعات معدنية، فامتلأت بها قصعته.

وكتب حضرة شيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه: عندما زار المسيح الموعود عليه السلام مدينة دهلي آخر مرة وذلك في عام ١٩٠٥ أراد عليه السلام زيارة ضرائح الأولياء هناك، فلما خرج لذلك قيل له إن الطريق المؤدي إلى الضرائح مليء بالشحاذين الكثيرين حتى يصعب على المرء المرور بها، فقال عليه السلام: "سندهب اليوم ونعطي لكل السائلين الجالسين في الطريق". ولم تكن هذه العزيمة عادية، بل كان عليه السلام مستعداً في الحقيقة لأن يعطي كل من يسأل، فخرج، ولكن لم يلق المتسولين بالكثرة المذكورة، بل لقي أقل مما ذكروا، فأعطى وساعد كل واحد منهم.

وروى حضرة الحافظ أحمد الله صاحب الناغوري: كان المسيح الموعود عليه السلام ذات يوم جالساً في الغرفة المستديرة مع حوالي عشرين أو خمسة وعشرين شخصاً، وكان يلقي كلمة، فجاء سائل ورفع صوته بالسؤال. فشق عليّ ذلك لأن صوته كان يشوش على كلامه عليه السلام، فقمّت وأغلقتُ الباب. فانتبه عليه السلام إلى ما فعلتُ، فتوقف عن الكلام وقال لي: «قمّ وافتح الباب، واذهب إلى بيتنا واطلب منهم شيئاً له». أي أنه

العلية قال له لماذا أغلقت الباب، فاذهب الآن إلى بيتي ونادهم وخذ منهم شيئاً وأعطه السائل. فحضرتة العلية قد طلب شيئاً من أهله وأعان به السائل، وعلم أنه لا ينبغي إغلاق الباب في وجه السائل عند سؤاله، لأن إغلاق الباب في وجهه خطأ فادح.

وروى حضرة بابو غلام محمد: جاء مرةً إلى باب بيت المسيح الموعود العلية متسول يعزف على آلة موسيقية، فأعطاه رُبعٌ روبية. ثم دخل العلية بيته، وفي هذه الأثناء جاء مير ناصر نواب، ورأى السائل فوبَّخه توبيخاً شديداً وحذره من أن يأتي هنا مرةً أخرى! فجاء السائل في اليوم التالي ثانية، فخرج العلية من بيته ليعطيه شيئاً فلم يجده على الباب. (يبدو أن السائل رأى حضرة مير ناصر نواب هناك، فتذكر ما لقيه منه من توبيخ بالأمس فكان قد هرب من هناك)، فقال حضرتة العلية لأحد: "اذهب وابحث عن ذلك السائل الذي يحمل آلة موسيقية، وانظر أين ذهب؟". فقال أحدهم: سيدي! إنه هرب! فقال حضرتة: "اذهب أنت أيضاً سريعاً وأحضره". على أية حال، رجع هذا السائل، ولما رأى السيد مير ناصر نواب خاف منه، فقال حضرتة للسيد مير: "ماذا يفعل هذا المسكين؟ إنه لا يعرف حرفةً أخرى، ولا يتقن عملاً آخر، وبالتالي فهو يعزف على هذه الآلة الموسيقية طول الوقت، فعلمته أنت حرفةً أو عملاً، حتى لا يعزف بعد اليوم، أي أوجد له مصدر رزق آخر". ثم قال لهذا السائل العازف على انفراد: "طالما أنت هنا في قاديان، فلا تعزف على الآلة الموسيقية علانية، وإلا فسيغضب عليك السيد مير ولعله يضربك أو يلطمك لطمة أو لطمتين، فلا تعزف هنا علانية، بل اطرق الباب بهدوء، وسأعطيك شيئاً كل يوم". فكان -طوال مدة مكوثه في قاديان - يأتي حضرتة ويأخذ ربع الروبية كل يوم.

روى السيد فضل شاه قائلاً: كان أحد السائلين قد اعتاد المجيء إلى حضرة المسيح الموعود العلية، فكان يطلب أحياناً آنة واحدة، وأحياناً آنتين، وأحياناً نصف روبية. وباختصار، كان يطلب شيئاً أو آخر بالحاج. وإذا كان حضرتة مشغولاً ببعض العمل أو في الحديث، كان هذا السائل يكرر طلبه، ولا يتركه حتى يحصل على شيء. فلما تعود حضرتة عليه أيضاً أصبح يعطيه مطلبه كلما حضر وطلب مبلغاً معيناً، وكان حضرتة يقول: "الن يرح هذا السائل حتى يحصل على ما يريد، لذلك أعطوه بالضبط ما طلب".

كتب الشيخ يعقوب علي العرفاني: لقد استقررت عند حضرة المسيح الموعود العلية بشكل دائم منذ عام ١٨٩٨م، وكنتُ أزور قاديان منذ عام ١٨٩٢م. لقد سألت كثير من الناس حضرتة، ولكني لم أرَ المسيح الموعود العلية قط يعطي أي سائل عملة نحاسية. كان دائماً يعطي السائل عملة فضية. (وحسب العملة السائدة في ذلك الزمان، كانت العملة النحاسية تبدأ من البيسة الواحدة، ويستين، وتصل إلى نصف آنة. (كانت الروبية الواحدة تحتوي على مئة بيسة، و١٦ آنة - المترجم) أما العملة الفضية فتبدأ من آنة واحدة وأنتين اثنتين وربع روبية وما فوقها.

رغم أنه في ذلك الزمان كان للبيسة والبيستين قيمة تُذكر، إلا أنه عليه السلام كان يعطي في الصدقة آنة أو آنتين أو أكثر من ذلك، وكان ذلك مبلغًا معقولًا. وفي العادة كان يعطي حتى السائل العادي روية واحدة. بشكل عام لم يكن حضرته يعطي المتسول أقل من الروية التي كانت آنذاك من الفضة. ومرة جاء أحد الفقراء من غير الأحمدين وقال لحضرته: أريد أن أحفر بئرا في الغابة لأنها ستريح المارة هناك وتوفر لهم مياه الشرب أثناء سفرهم. فأعطاه عليه السلام مائتي روية لهذا الغرض، لأنه كان سيقوم بخدمة خلق الله، فقال له حضرته: "حسنًا احفر البئر، وسأدفع لك كلفتها". لقد أوصى عليه السلام الجماعة بخدمة الخلق، وأظهر بنفسه النموذج العملي لذلك.

يروى حضرة عبد السميع، صحابي حضرة المسيح الموعود عليه السلام، قائلًا: بمناسبة عقيقة ميان شريف أحمد (الابن الثالث لحضرته عليه السلام من بين أبنائه الأحياء وقتها، فقد وُلد له وبعده أيضا ولد إلا أنه توفي، غير أن ميرزا شريف أحمد عاش طويلاً)، كان الناس يتناولون الطعام في دار الضيافة، وحضرته عليه السلام جالس معهم، إذ دخل شحاذ إلى دار الضيافة وطلب الصدقة. فهبّ بعض الناس بطرده، فمنعهم حضرته من ذلك، وقام بنفسه بإعطاء الشحاذ طعامًا، وقال: "إذا جاء شحاذ ليأكل فلا تزجروه". ثم وضع له الطعام بنفسه في طبق وأعطاه إياه.

يروى حضرة منشي ظفر أحمد صاحب كفورثلوي قائلًا: في إحدى المرات جاء أحد المشايخ إلى قاديان وبدأ يناقش حضرته. فلما بدأ حضرته يرد عليه، سكت الشيخ. كانت المناقشة حول وفاة عيسى عليه السلام وحياته، وهذه واقعة من أوائل عهد حضرته. وعندما شرح له حضرته الأمر سكت، فسأله حضرته: "هل فهمت أن الدلائل التي قدمتها صحيحة؟". فقال: نعم، فهمتُ. ثم قال مظهرًا وقاحة شديدة: لكنني فهمت أنك دجال! (والعياذ بالله)، وذلك لأنه ورد من صفات الدجال أنه يُسكت الخصوم، أي يُلجئهم إلى الصمت. فلم يردّ عليه حضرته شيئًا آخر، وانصرف الشيخ، وذهب إلى أمرتسر ومن هناك طبع إعلانًا ذكر فيه هذه الواقعة، وقال بأني نطقت بتلك الكلمات، ولكنه لما دخل إلى داره أرسلتُ له وريقة قلت فيها: أنا محتاج، فيجب أن تُعاملني معاملة حسنة. (وهكذا أظهر الشيخ بنفسه عن قلة حياته، وفي الوقت نفسه شهد بحسن معاملة حضرته، يقول:) قلت له: رغم أنني تكلمت معك بكلمات سيئة جدًا، إلا أنني محتاج، فأحسن معاملتي. فأرسل لي حضرته فورًا خمس عشرة روية.

لقد كتب هذا الشيخ في إعلانة: أرسل لي حضرته فورًا خمس عشرة روية، فإنه سخي جدًا. وإنه لا يغضب حتى ولو قيل له كلام قاسٍ في وجهه.

لم يذكر حضرته لأحد هذا الأمر الأخير أي إرسال الخمس عشرة روية، ولكن من خلال إعلانة هذا علم الناس أنه عليه السلام أعطاه خمس عشرة روية رغم قسوة كلامه.

بيروي حضره قاضي عبد الغفور قائلاً: في عام ١٩٠٦م ذهبْتُ مع أخي الأكبر حافظ مراد بنخش صاحب من مدينة روابندي إلى قاديان. كان حضرته ينزل من درج المسجد. فأعطاه شخص -وعلى الأغلب كان الحكيم شاه نواز من سكان راولبندي- نذرًا عبارة عن سبعة عشر جنيهاً في كيس. فأخذه حضرته ووضعه في جيبه. وفي الأسفل كان يقف أحد السائلين فطلب الصدقة، فأخرج حضرته الكيس نفسه من جيبه ووضعه في يد السائل. فلما رأى الحكيم المذكور ذلك، قال: سيدي! كانت سبعة عشر جنيهاً في هذا الكيس! فأجاب حضرته: "هذه كانت له، فقد وصلت إليه". ثم سكت. في ذلك الزمان كان للجنيه قيمة كبيرة، حيث كان الجنيه الواحد يعادل نحو خمسة عشر روبية هندية. وكان يعادل كله حوالي مئتين وخمسة وخمسين روبية، وكان في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً جداً إذ كان يمكن الحصول على رغيف الخبز والطعام بيستين اثنتين فقط.

بيروي حضره الشيخ يعقوب علي صاحب عرفاني قائلاً: كان عليه السلام كثير التصدق، ومن دأبه أنه كان يتصدق بعُشر أمواله. وفي هذا الصدد روى حضره مرزا بشير أحمد رواية عن أم المؤمنين رضي الله عنها. يكتب قائلاً: حدثني والدتي المحترمة أن حضره المسيح الموعود كان يكثر من الصدقة، وكان يعطيها في الغالب سرّاً بحيث لا نعلم عنها نحن أيضاً. يقول مرزا بشير أحمد رحمته الله: سألتها: كم كان يتصدق؟ فقالت: كان يتصدق كثيراً. وفي أيامه الأخيرة كان يفصل من أجل الصدقة عُشر الأموال التي كانت تأتيه، ثم كان يتصدق منها. وقالت والدتي: هذا لا يعني أنه لم يكن يتصدق بأكثر من عُشر أمواله، بل كان يقول عليه السلام: "تزداد المصاريف أحياناً -أي يزداد عدد الضيوف فتزداد مصاريف دار الضيافة- مما يؤدي إلى التقصير في الصدقة، ولكن لو فصل الإنسان أموال الصدقة من البداية فلن يقصّر في التصدق بها، لأن أموال الصدقة لا يمكن أن تنفق في مصاريف أخرى". قالت والدتي: لأجل ذلك كان عليه السلام يفصل عُشر مدخوله من المال، وإلا فإنه كان يتصدق بأكثر من العُشر.

يقول مرزا بشير أحمد سألتها: هل كان يفرق بين الأحمدي وغيره في التصدق بأمواله؟ سألتُ أمي ذلك، فقالت: لا، لم يكن يميز بين أحمدي وغير أحمدي، بل كان يعطي كل ذي حاجة.

كتب السيد شيخ يعقوب علي عرفاني أنه كما كانت عادته ألا يردّ سائلاً قط، وكما كان يُعين المحتاجين دون أن يطلبوا، كذلك كان من شيمته الكريمة أنه كان يفهم أدقّ صور الحاجة وأخفاهها، وكان في مثل هذه المواقف أيضاً يبادر إلى العطاء.

يقول السيد صاحبزاده سراج الحق: إنه في إحدى المرات أرسل إليه شخصٌ قُبْعَةً جميلة، وحين وصل هذا الطرد إلى حضرته، صادف أن هندوسياً كان جالساً عنده. فلمّا فتح الطرد خرجت منه القُبْعَة، فأخذ ذلك الهندوسي يُثني عليها ثناءً كثيراً، فلمّا سمع حضرته ثناءها من فمه، أعطاه إيّاها.

يروى السيد المنشي ظفر أحمد الكبورتهلوي قائلاً: كان ثمة أحمدي يُدعى الحاج حسين، عاد من أداء فريضة الحج وأحضر معه مسبحة من اللؤلؤ الثمين الأصيل، فقدّمها هديةً إلى حضرته. وكانت مسبحةً من اللؤلؤ الحقيقي. يقول: كنتُ أنا وشخص من أهل سيالكوت عند حضرته، فقدّم الحاج حسين المسبحة إلى حضرته أمام أعيننا، فقال له حضرته: "جزاك الله". وكانت المسبحة بالغة الجمال.

يقول: فنويثُ في نفسي أن آخذ هذه المسبحة بعد انصراف الحاج، وقد كان الشخص السيالكوتي أيضاً قد نوى الأمر نفسه. فلما انصرف الحاج حسين، قال السيالكوتي: يا سيدي، إن هذه المسبحة رائعة الجمال، فقال حضرته: "إن كانت تعجبك فخذها"، وأعطاه إياها. فقلت: يا سيدي، لقد كنتُ أنا أيضاً قد نويثُ أخذها، فقال حضرته: "إذن اقتسماها نصفين." وبعدها قال لي ذلك الرفيق السيالكوتي: المسبحة مئة حبة، فدعها تبقى عندي. فقلت: حسناً. فأبقاها عنده.

يروى الحكيم الله دتاً قائلاً: حدّثنا السيد سرفراز خان أننا جئنا إلى الجلسة السنوية، وكان قد أهدى أحدهم لحضرته فرساً، فقال السيد سرفراز: خطر في قلبي يا ليت تكون هذه الفرس من نصيبي وأخذها معي وأقول: لقد أتيتُ بفرس المسيح. وكانت فرسا من سلالة جيدة صالحة للركوب. فلما انتهت الجلسة، قلت: يا سيدي، أريد أن أعود. فقال حضرته: "انتظر". وفي اليوم الثالث قلتُ كذلك، فقال حضرته: "يا شودري، خذ هذه الفرس معك." فقلت: يا سيدي، ما ثمن هذه الفرس؟ فقال: "أطعمها العشب والحبوب، واركبها، فهذا هو ثمنها. لا ثمن لها. خذها وتمتع بركوبها."

يروى السيد ملك غلام حسين قائلاً: حين قدّم المولوي عبد الرحمن الشهيد من أفغانستان، أراد زيارة حضرته، وكان قد أحضر معه أشياء كثيرة، من بينها معطف من الفراء. فأبلغتُ حضرته، فأذن له بالدخول، فقدّم تلك الأشياء والمعطف الفروي إلى حضرته. فأبدى حضرته بهجةً وقال للمولوي: "لقد تكبّدت مشقةً كبيرة." فقال المولوي: يا سيدي، لقد أحضرتُ هذا المعطف الفروي من أجلكم، ويشتاق قلبي أن تلبسوه أمامي. فنهض حضرته ولبسه. وكان معطفاً طويلاً (سواء أكان سترةً، أم معطفاً، أم رداءً أياً كان اسمه) كان يصل إلى الكعبين، (فلا بد أنه يشبه رداءً طويلاً). وفي المساء أثناء الطعام، قال السيد خواجه كمال الدين: يا سيدي، لقد أحضر المولوي عبد الرحمن معطفاً فروياً ثميناً دافئاً، من أرقى ما صنّع. وكان السيد خواجه قد رآه من قبل. فقال حضرته للسيد خواجه: "يبدو أنه أعجبك كثيراً، فخذ أنت." فقال: يا سيدي، هذا فضل عظيم. فأعطاه حضرته المعطف الفروي.

قال السيد شيخ يعقوب علي عرفاني: كان الحافظ نور أحمد تاجر البشمينة، (والبشمينة هي القماش الصوفي) من لُدِيَانِه، من أقدم الخدام المخلصين للمسيح الموعود عليه السلام. كان يتاجر في الأقمشة الصوفية وكان من المخلصين له. فأصابته مرةً خسارة فادحة في تجارته وكاد عمله أن يتوقف كلياً، فأراد أن ينتقل إلى مكان آخر ويبدأ عملاً مختلفاً لكي يتمكن من إصلاح حالته المادية. وكان على تواصل مستمر بالمراسلة

مع المسيح الموعود عليه السلام طول حياته، وكان يخدم الجماعة ماليًا بما يفوق طاقته. وهو يقول في شأن كرم المسيح الموعود عليه السلام وعطائه وجوده وسخائه: لا أقول إلا كلمة واحدة، وهي أنه لم يكن يُعلم بالعطاء القليل.

ثم روى واقعةً من تجربته الشخصية قائلاً: حين أصيبت تجارتي بالكساد وعزمتُ على السفر لأبدأ عملاً في مكان آخر، طلبتُ من المسيح الموعود عليه السلام بعض المال قرضاً لأتمكن من بدء عملي مجدداً. فأحضر حضرته صندوقاً صغيراً كان يحفظ فيه المال، ووضعه أمامي قائلاً: "خذ منه ما شئت"، وكان مسروراً بذلك أيما سرور. فأخذتُ بقدر حاجتي، وحضرته لا يزال يقول: "خذ كله". والحقيقة أن تعامله مع أصحابه كان من نوع غريب تماماً؛ إذ كان يعدّ ماله عملياً مال أصحابه، وكان يتألم إذا أظهر أحد الخدام تحرجاً أو أنفةً أو غيرة (عفوا ليست الغيرة، بل هي الغيرية أي) شعوراً بالغيرة في هذا الشأن.

يقول السيد شيخ يعقوب علي: السيد شيخ محمد إسماعيل السرساوي من أصدقائي المخلصين والإخوة منذ اثنين وثلاثين عاماً، وهو من قدامى خدام المسيح الموعود عليه السلام. ومنذ البداية جُبلت طبيعته على السلوك الصوفي، وظلّ شغفه بطريقة الصالحين يلزمه ويتعلق به. وهو مدرّس في مدرسة تعليم الإسلام منذ نشأتها إلى يومنا هذا، وكان في أول الأمر هو من يتولى إطعام الضيوف، فكان حريّاً أن يُلقَّب بناظر الضيافة. ومنذ أن قدم إلى هنا، كان المسيح الموعود عليه السلام يوليه عنايةً خاصة ويتكفل بجميع احتياجاته (أي يلبّي جميع حاجاته).

وفي مرةٍ من المرات، غضب المرحوم مير ناصر نواب المحترم على السيد شيخ غضباً شديداً، وأعدّ قائمةً بديونه، وكان فيها دينٌ لحلوانيين، غير أنه لم يكن يعلم أن ذلك الدين قد سُدد. فبلغ الأمرُ حضرته بأن السيد شيخ قد أخذ هذا القدر الكبير من الدين من الحلوانيين لتيسير أمور دار الضيافة. فلما سمع المسيح الموعود عليه السلام ابتسم وقال: "أنا على علمٍ بذلك، وهذا الدين قد سُدد، فلا تقلق، بل إن كل دين يُسوَّى أسبوعياً، فكل ما يتراكم يُقضى كل أسبوع". وكان المسيح الموعود عليه السلام يسدّد النفقات للسيد شيخ أسبوعياً أو متى طلب، وكان السيد شيخ يُخبر حضرته من دون أي تكلف، كما يُخبر الولد أباه بل بأكثر من ذلك انبساطاً، قائلاً: لقد بلغت النفقات كذا وكذا، فيُسدّدها حضرته في الحال. وهكذا كان سخاؤه الملكي وأسلوبه في التربية؛ وقد كانت تشمل النفقات الشخصية ونفقات دار الضيافة أيضاً.

يقول الشيخ يعقوب علي عرفاني رحمته الله: كان سيد فضل شاه رحمته الله من أشدّ أصحاب المسيح الموعود عليه السلام إخلاصاً. وكان أخ أكبر للسيد ناصر شاه. كان يحب حضرته عليه السلام حباً شديداً، فهاجر إلى قاديان أخيراً وسكن في دار الضعفاء. في عام ١٩٠٠م، كان موجوداً في قاديان، فاستأذن المسيح الموعود عليه السلام في ٦ يوليو ١٩٠٠م للسفر، والتمس منه أن يكتب له بعض كلمات النصيحة، وطلب أيضاً دواءً وقميصاً. كان المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الوقت يعاني من نوبة صداع شديد جداً، ولم يستطع حتى حضور الصلاة.

ومع ذلك كتب له رسالة نصيحة، وأعطاه الدواء والقميص. هذا الحادث يشهد بأنه عليه السلام كان - حتى في أشد حالات المرض - دائم الاستعداد لتلبية طلبات أصحابه المشروعة، ولا يبالي بالتعب والإرهاق في تحقيق مصلحة الناس وخيرهم.

يقول الشيخ يعقوب علي عرفاني رحمته الله:

يتبين من وقائع سيرته عليه السلام أنه كان يشارك الإخوة في أفراحهم بسخاء، وكان ذلك من مظاهر محبته وكرمه وجوده عليه السلام. ويتضح ذلك من مطالعة الرسائل التي كتبها عليه السلام بين حين وآخر إلى منشي عبد الله السنوري رحمته الله، وكذلك من روايته رحمته الله أن المسيح الموعود عليه السلام تكفل مرة نفقات وليمة زفافه، ومرة أخرى نفقات عقيقة ابنه، وقد فعل ذلك بكل سرور وانسراح الصدر.

وفي بعض الأحيان كان الناس يرسلون مبلغاً من المال إلى المسيح الموعود عليه السلام بمناسبة أفراحهم، ويكتبون أن تُقام الدعوة في قاديان نيابة عنهم. غير أنهم كانوا ينسون عند كتابة الرسالة أن إقامة دعوة في قاديان لا تعني إطعام عدد قليل من الأشخاص، إذ يكون عند المسيح الموعود عليه السلام عدد كبير من الزائرين والضيوف دائماً. وكان المبلغ الذي كانوا يرسلونه قليلاً في أغلب الأحيان ولا يكفي لتغطية نفقات الدعوة.

ومع ذلك، لم يكن حضرته يكتب إليهم بهذا الشأن، بل كان يضيف مبلغاً آخر من ماله الخاص، ويحقق رغبتهم في إقامة الدعوة. وقد تكرر هذا الموقف مرات عديدة، لكنه لم يكن يذكر ذلك لا تصريحاً ولا تلميحاً، بل كان يقول دائماً في مثل هذه المناسبات: "هذه دعوة من فلان".

وفي بعض الأحيان كان يُطلع بعض أصدقائه المقربين على الأمر، فيخبرهم بأن المبلغ الذي أرسلته لم يكن كافياً، وأنه هو الذي أكمل النفقات من ماله.

فقد كتب المسيح الموعود عليه السلام في إحدى رسائله إلى منشي عبد الله السنوري رحمته الله بمناسبة زواجه:

"أبارك لك زواجك الجديد. وفي يوم الجمعة، ووفقاً لما كتبت، أُقيمت وليمة الزواج من طرفك وأُطعم الضيوف. ولما كان عدد الضيوف كبيراً، ومن بينهم السيد عبد الرحمن صاحب المدراسي رحمه الله، وعدد من الضيوف الكرام الآخرين، وكان عددهم يربو على ثمانين شخصاً، فإن العشرة روبيات التي أرسلتها لم تكن كافية. لذلك، وبمناسبة هذه الفرحة، أضفت من عندي عشرة روبيات أخرى، فأصبحت النفقات عشرين روبية، وأعددت طعاماً لذيذاً بما فيه الأرز مع اللحم، والأرز الحلو، ولحم الماعز، والخبز وغير ذلك. وقد سرت الضيوف جميعاً، وبعد تناول الطعام دعوا لك بالخير".

لم يُخبر المسيح الموعود عليه السلام الضيوف بأنه ساهم في الدعوة من ماله، بل أخبرهم فقط أن الدعوة كانت من طرف صاحب المناسبة.

كما كتب المسيح الموعود عليه السلام في رسالة أخرى إلى منشي عبد الله السنوري رحمته الله بمناسبة عقيقة ابنه:

"ذُبِح كبشان وكان لحمهما جيداً جداً، وطُبخت طنجرة كبيرة من الأرز مع اللحم، وطنجرة أخرى من الأرز الحلو بالزعفران، كما أُعدَّ الخبز واللحم أيضاً. وكان عدد الضيوف يقارب السبعين، وقد أكرموا خير إكرام. وبفضل نيتك الصالحة كان الطعام من النوعين مطبوخ على أحسن وجه".

ثم كتب عليه السلام أن مجموع نفقات هذه الدعوة بلغ أربعاً وعشرين روية، وأضاف:
"أنا أعلم أنك لا تستطيع دفع هذا المبلغ كله، لذلك يمكنك أن ترسل في أي وقت نصفه، أي اثنتي عشرة روية، فأرسلها متى تيسر لكم".

وأعرب عليه السلام عن سروره الكبير بإقامة الدعوة وهنأه أيضاً.

يروى أحمد نور صاحب الكابلي عليه السلام:

"عندما قدمْتُ إلى قاديان سنة ١٩٠٢م، أخذ المسيح الموعود عليه السلام بيعتي بعد صلاة المغرب. ومنحني من تلقاء نفسه قطعة أرض لبناء مسكن، كما ربَّت زواجي أيضاً دون أن أطلب منه ذلك. ثم أرسلني، من غير علمٍ مني، مع عدد من الإخوة إلى بيت زوجتي لإتمام مراسم الزفاف. كما خصص لي من دار الضيافة كيساً من الدقيق، وأمر قائلاً: "ما دام أحمد نور حيّاً، فأعطوه هذا الدقيق على حسابي الخاص". وأمر مولوي محمد علي بذلك، وأضاف وقال: "سأتكفل أنا نفقة هذا الدقيق للسيد أحمد نور".

ويروي ميان عبد الرحيم عليه السلام:

"أُصبت مرة بمرض شديد حتى انقطع الأمل من بقائي على الحياة، وكنت ملقى فاقداً الوعي. وفي تلك الأثناء، بينما كان المسيح الموعود عليه السلام عائداً من نزهة إلى قرية "بُتر" لقيه عمي المرحوم ميران بخش عند ساحة "باب موري"، وقال له: "يا سيدي! تفضلوا بزيارة عبد الرحيم، فإنه مصاب بمرض شديد".

وكان برفقة حضرته عليه السلام عدد من الإخوة، ومن بينهم الخليفة الأول عليه السلام. فتفضل المسيح الموعود عليه السلام، بالجيء إلى منزلنا المتواضع. ولما رأني مضطجعاً على السرير، حرَّك كتفي بيده اليمنى وقال: "لماذا تخاف؟ إنك لن تموت". فما إن قال ذلك حتى فتحت عيني. ثم نظر عليه السلام إلى سقف المنزل وقال:

"يا عبد الرحيم، لن تموت بهذا المرض، ولكن حالة هذا البيت البالية والمتهالكة قد تكون سبباً لهلاكك؛ فسقفه متهالك ومتداعٍ. فعندما تُشفى يجب أن تصلح سقفه".

ثم قال عليه السلام لوالدتي: "تعالى معي وخذي الدواء، وأعطيه إياه، وسندعو له أيضاً، وسيُشفى بإذن الله". فذهبت والدتي مع حضرته إلى منزله، فأعطاه ثلاث جرعات من الدواء.

تناولت الجرعة الأولى في ذلك الصباح، نحو الساعة التاسعة أو العاشرة، والجرعة الثانية مساءً. وبعد تناول هاتين الجرعتين استطعت أن أجلس على السرير. ثم تناولت الجرعة الثالثة في صباح اليوم التالي، وبمجرد تناول هذه الجرعات الثلاث زال المرض تماماً.

يضيف الراوي ويقول: بعد خمسة أو ستة أيام أصبحتُ معافى تماماً، ولم يبقَ إلا شيء يسير من الضعف.

وبعد أسبوع ذهبت لزيارة المسيح الموعود عليه السلام، وكنت لا أزال أشعر ببعض الضعف، فساعدني بعض الإخوة للصعود إلى الطابق العلوي، فلما مثلت أمامه عليه السلام قال:

"لقد شُفيت الآن؟" فقلت: نعم، بفضل دعائكم ودوائكم، منذ ذلك اليوم لم تعاودني الحمى أو ما شابهها. ثم سألني عليه السلام: "وماذا فعلت بشأن المنزل؟"

فأجبت: لقد بقيت مريضاً شهراً أو أكثر، وليس عندي فلس واحد، فكيف أستطيع إصلاح البيت أو تغيير سقفه؟

فقال حضرته: "سنقوم نحن بإصلاحه". ثم استدعى في الحال مولوي محمد علي المحترم، وقال له: "عندما تطلب الأخشاب لبناء غرف المدرسة، اطلب أيضاً أخشاباً لسقف بيت عبد الرحيم، وأصلح منزله، وسأتكفل نفقات إصلاح بيته".

وبناءً على ذلك، أرسل مولوي محمد علي بناءً اسمه "ركا رام" ليفحص منزلي ويقدر كمية الأخشاب والتكاليف اللازمة لإصلاح السقف. فجاء البناء وأخبر السيد محمد علي عليه السلام بأن سقف البيت يحتاج إلى عشر عوارض خشبية. فعرض السيد محمد علي عليه السلام الأمر على حضرته عليه السلام، وقال: إن ثمن الأخشاب سيبلغ ثلاثين روبية. فأعطى حضرته السيد محمد علي عليه السلام ثلاثين روبية في الحال، فتم بناء بيتي .

ويقول: أما ما أنفق بعد ذلك على أجور البنائين وسائر العمال، فلا أعلم مقداره، غير أن جميع تلك النفقات تكفل بها المسيح الموعود عليه السلام

كتب السيد مرزا بشير أحمد عليه السلام، عند تقديمه خلاصةً عامةً عن السيرة الطيبة:

لقد كتب خالنا الأكبر، الدكتور مير محمد إسماعيل عليه السلام، بناءً على طلبي، مقالاً عن أخلاق المسيح الموعود عليه السلام وصفاته. وقد قال في ذلك المقال:

كان المسيح الموعود عليه السلام رؤوفاً رحيمًا سخيًا مضيافًا، أشجع الناس. كان أسدًا هصوياً في إقدامه عندما كانت قلوب الناس تنهار في أعاصير الفتن والابتلاءات.

العفو، التسامح، الكرم، التواضع، الوفاء، البساطة، حب الله تعالى، محبة الرسول عليه السلام، احترام كبار الدين، الوفاء بالعهد، حسن المعاشرة، الوقار، الغيرة، الشجاعة، علو الهمة، التفاؤل وسعة الصدر كانت من أبرز أخلاقه المتميزة.

يقول: رأيته عليه السلام لما كنت ابن سنتين، وعندما توفي كنت شاباً في السابعة والعشرين من عمري، وإنني أقسم بالله العظيم أنني لم أر أحداً أحسن منه خلقاً وأغزر منه خيراً وصلاًحاً، وأسمى منه روحانية، وأشد منه حبا لله ولرسوله عليه السلام، كان نورا تبتدى لخير الإنسانية، كان غيثاً مدراراً من الرحمة جاداً على الأرض بعد جذب طويل، فجعلها ريانة نضرة.

وقال السيد مرزا بشير أحمد رحمته الله أيضاً: وهذه كذلك هي شهادتي الشخصية التي رأيتها بعيني، وهي مطابقة لما ذكره السيد مير. نسأل الله تعالى أن يرزقنا نحن أيضاً الاتصاف بهذه الأخلاق السامية التي بعث الله تعالى المسيح الموعود عليه السلام في ظلّ سيدنا محمد صلوات الله عليه لإحيائها.